مقدمة الطبعة الثانية

صدرت في بريطانيا قبل عشرة سنوات الطبعة الأولى من هذا الكتاب، والعراق يعيش في ظل نظام دكتاتوري رافض للمراجعة والإصلاح. واليوم نعيد إصدار الكتاب مع إضافتين هامتين تعكس موقفاً كردياً وأخر حكومياً ممثلا بشخص نوري السعيد رئيس الوزراء آنذاك. ولا تزال كافة الوثائق والدراسات يعود تاريخها لما قبل استيلاء حزب البعث على السلطة عام 1968.

شهد العراق إبان هذه الفترة رحيل شخصيتين ساهمتا في تأليف هذا الكتاب وهما الدكتور فاضل الجمالي والأستاذ حسين جميل، ولكن الأهم من ذلك هو التحول الجذري الذي شهده العراق نتيجة الاحتلال الأمريكي وسقوط النظام وما تبعه من انقسام أبناء البلد على أنفسهم إلى حد التهديد بالانزلاق نحو حرب طائفية وعرقية.

إن الأحلام التي كانت تعيشها الأوساط السياسية المناوئة لدكتاتورية النظام السابق، سرعان ما تحولت إلى كوابيس في ظل حالة العنف والعنف المضاد التي يعيشها العراق اليوم، وبدلا من السعي نحو وفاق وطني يؤسس لتحول الديمقراطي سعت بعض أطراف الصراع إلى فرض صياغة جديدة للعراق تناسب طموحاتها الفئوية – طائفية أو أثنية.

تصور البعض إن الديمقراطية وصفة سحرية سهلة التطبيق، وان مجرد سقوط الدكتاتورية سيفتح أبواب الحرية والديمقراطية في العراق. ولكن الواقع اثبت إن عملية التحول نحو الديمقراطية شاقة خاصة في بلد طائفيا وعرقيا تم تعرف أجياله الحاضرة الممارسة الديمقراطية لا على صعيد الحكم ولا المعارضة، فسقوط الدكتاتورية في يوغسلافيا فتح الطريق واسعا نحو التقسيم والاحتراب الأهلي وهذا ليس تبريرا لاستمرار الدكتاتورية ولكن تحذيرا من مخاطر الانقسام كالتي نشهدها في عراق اليوم.

إن البناء الديمقراطي يحتاج إلى أساس اجتماعي وثقافي وحضاري قادر على اعتماد أصول الممارسة الديمقراطية من مبادئ ومشاركة شعبية وتداول سلمي للسلطة وحكم القانون والمؤسسات واعتماد المواطنة أساسا للانتماء، ولكن كل هذه مفردات غريبة على الجمهور العراقي ولذلك على معظم قيادته التي تحكمها مصالحها ومنطلقاتها الطائفية والقبلية والأثنية والدينية، وفي غياب المجتمع المدني يبقى من الصعب قيام الديمقراطية في العراق او في غيرة من دول.

وما زاد من تعقيد عملية التحول نحو الديمقراطية في العراق هو سياسات دولة الاحتلال التي كرست الانقسام الطائفي، إضافة إلى التأثير السلبي لبعض دول الجوار التي أراد البعض منها تحويله ساحة لتصفية حساباته مع الآخرين وبالذات الولايات المتحدة.

السؤال: هل التحول الديمقراطي في العراق لا يزال ممكناً، أم انه مهدد بالتآكل والانقسام وبالتالي التلاشي؟

إن إصدار الطبعة الثانية والموسعة من هذا الكتاب هي مساهمة في إنضاج فكر سياسي ديمقراطي عراقي مستفيدا من تجربة رواده الأوائل.

غسان العطية
بغداد – ايلول 2005